كتاب الجن

عبد الهادي رويس

1

كان همّ (رضوان) طيلة حياته أن يمتلك كتاب العم (سالم) الذي يشرح فيه طرق التعامل مع الجن. إن (رضوان) قارئ نهم يحب الموسيقى ويعشق الكتابة، وهو دائما ميال إلى كتب الغرائب والعجائب، قرأ ما يستطيع من كتب الماورائيات : فهذا السر الأكبر وهذا الأطباق الطائرة وذاك التخاطر عن بعد وذلك علم الباراسيكولوجي.. لقد كان (رضوان) ممتلئا دوبامين بما تحويه هذه الكتب من الإثارة والإنارة. لقد قالوا أننا لسنا وحدنا، وأن هناك خلائق في هذا الكون الفسيح تملك الوعي وتدب على الأرض وتحمل الذكاء، قالوا أيضا أن أرضنا مجوفة وفيها مخلوقات. لقد قالوا وقالوا.. لكن (رضوان) مع كل ما قرأ وما سمع إلا أنه يحب موضوع الجن.

عندما كان في السادسة من عمره أدخله والده (عثمان) دار القرآن ـ كما تسمى في المغرب ـ ليحفظ القرآن ويتمكن من قراءته وتجويده، وفعلا هذا ما حصل حيث أتم حفظه وترتيله في ظرف ثلاث سنوات، عند إتمامه الحفظ شعر بحبور كبير وسعادة عارمة، كذلك فرحت العائلة وقاموا بوليمة كبيرة حضرها الصغير والكبير فرحة بالابن (رضوان)، وهاهم الجيران يسمعون السرور وعظيم الشعور فلا يزيدهم ذلك إلا غيظا وحقدا وحسدا، لقد كان جيران (رضوان) من الناس الفاشلة : أولادهم حتى الفاتحة لا يحكمونها، وكم من صبي هناك في الحي يتلعثم بقراءة القرآن ولسانه سلس في السب والشتم، أفواه تلفظ كلاما لو سمعه المتقون لبقوا يسبحون ويستغفرون. إلا عائلة واحدة تقع على بعد خمسة منازل فيها أناس مهذبون ذوي قلوب نظيفة وأبناء شرفاء أعفاء، من أفرادها الطفل (سليمان) كان يكبر (رضوان) بسنتين وكان قد حفظ القرآن قبله وكان يحب القراءة لدرجة الجنون ومنه تعلم (رضوان) حب التعلم. دخل عليه يوما أي

(رضوان) وذلك بعد مرور أسبوع على الحفل، فوجده عاكفا على كتاب من حجمه تقول: هل هناك أطفال يقرؤون كتبا بهذا الحجم؟!

قال له (رضوان): إنني أحلم دائما بسوء سيقدم علي، ولا أعرف السبب؟

قال (سليمان): لا تخف فكم من واحد أصابه عسر وبعدها جاءه اليسر.

ـ ما هذا الذي تقرأ؟

ـ إنه كتاب "هاري بوتر" أسمعت به من قبل؟! إنه كتاب للصغار والكبار، ستستمتع به لا محالة، أتريد أن تقرأه؟

ـ نعم.. سمعت بعض الأمور عنه، أليست تيمته السحر وموده التعاويذ؟

ـ بلى، ولذلك أنا مهتم به كما ترى، إن خيال هذه السيدة باهر وتستحق ما وصلت إليه من نجاح.

ـ سأقتني نسخة لنفسي لأعرف ما فيه.

ـ إن حلمي أن أستطيع قراءة كتب السحر دون أن أصاب بأذى، لكن بما أني لا زلت غضا فلا أظن أني أستطيع!

ـ لا أؤيدك على ذلك يا صديقي ألم تر الفتى (طارق) الذي بدأ يقرأ في مثل هذه الكتب فأصابه الخبال، إن تلك الكتب الصفراء خطيرة يا صاحبي، ولك في كل هذه المكتبة العامرة حولك غنية.

ـ لكن الفضول يقتلني. ماذا يمكن أن يكون فيها يا ترى؟!

ـ أنصحك كما قال لي أحد الأساتذة: إن المرء لو تعبد الله وصبر على عبادته، سيحصل له من تلك الخوارق التي تظنها للسحرة وتكون حلالا طيبا. أقول لك شيئا : إن كل ما

يمكن أن يوجد وتظنه ممتعا وغامضا يكون في مقابله شبيها له بل أقوى منه مباحا ومشروعا.

ـ كيف لم أفهم؟!

ـ كل ما عليك فعله هو أن تجاهد نفسك في التعلم والعبادة وسيحصل لك من الكرامات مثل التي تحصل لعباد الشياطين. لذلك قيل لا تثق في من طار في الهواء أو مشى على الماء حتى تنظر في تقواه وصلاحه، فهناك أولياء الرحمان وهناك أولياء الشيطان.

ـ آه .. فهمت.

لا تستغربوا من مستوى هذين الطفلين فإنهما عملة نادرة بالفعل، ذكاءهما باهر وروحهما عظيمة، وهما من القلائل الذين يمكن أن تجد أمثالهم، وكل ذلك بفضل الله والحمد لله.

*****

بعد هذا الحوار الذي مر عليه سنوات وبعد عِشرة طويلة بين الصديقين أصبح الصديقان ضليعين في العلوم الدينية والفلسفة وعلوم التصوف، وألّفا كتبا لاقت رواجا كبيرا بين المهتمين.

بلغ (رضوان) الآن الثلاثين و (سليمان) كما قلنا يكبره بسنتين، ودائما ما يقول أحدهما للآخر: ياه كم يمر الزمن سريعا يا أخي، أذكر أننا كنا أطفالا البارحة والآن بلغنا الثلاثين، والله إن العمر ليمر بسرعة البرق، يجب أن نتزوج يا صديقي قبل أن يهرب علينا القطار. فيضحكان ضحكا هستيريا تتعجب أنه يصدر من عالمين شابين.

(عثمان) فخور بابنه وما وصل إليه ويحب له كما لصديقه أن يجدا من يكمل لهما دينهما كما يقال، فالزواج حصن للانسان خصوصا في هذا الزمان المدلهم الذي أصبحت فيه الفواحش منتشرة انتشار النار في الهشيم، بل أكثر من ذلك أصبح المرء يصبح مؤمنا

ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا ولا حول ولا قوة إلا بالله، لذلك فتح (عثمان) الموضوع معه : بني ألا تفكر في الزواج؟! إننا نحب أن نفرح بك وبذريتك، ومهما قيل لا يزال هناك نساء صالحات عفيفات محصنات.

قال له (رضوان): نعم يا والدي لكني أحب أن أجد امرأة عيناها في الثريا وإلا سيفشل الزواج، فإن كانت الزوجة لا ترى المكابدة والجهاد وإنما النعيم والأولاد، سيصعب علي التعامل معها.

ـ حسنا يا فيلسوف، أرشح لك (خديجة) فهي امرأة لا تزال تناضل ضد الفساد، وتريد أن تحدث تغييرا في المجتمع وأظن أن رأسها في الثريا كما تحب، كما أنها حاصلة على دكتوراه الفلسفة وتجيد عدة لغات وقريبة منك في السن وتحب أن يكون لها زوجا فريدا مثلك.

ـ آه أعرفها إنها امرأة ممتازة، لقد حدث أن التقينا في أحد المؤتمرات.. تحدثنا سريعا ثم مضت، إنها شخصية قوية كما أني أحببتها.

ـ ماذا تنتظر؟ لتخطبها إذن.

ـ حسنا، الأسبوع المقبل نذهب لخطبتها، معك ومع والدتي (عائشة).

ـ بالتأكيد.. وأبشرك أنها تحبك وتريد الزواج منك لقد أخبرتها إن كانت تحب الزواج فقالت بالتأكيد.

*****

تزوج (رضوان) وكذلك (سليمان) فشعرا بنعمة الزواج وكيف أنه أكثر من مجرد علاقة جنسية تملكية، إنه أكثر من كونه علاقة في الفراش، إن الزواج مودّة ورحمة كما قال الله

تعالى. إذا كان الزوجان متفاهمين متفهمين والواحد لباس للآخر ما أحلى الحياة، ولقد رأيت ورأى الكل كيف أن الطلاق أصبح موضة العصر؛ وذلك طبيعي فالذي له مغامرات ولم يتب ويخش الله، كيف سينجح له وفاق أو يكون له وئام، وحتى لو استمرت العلاقة بطريقة أو بأخرى فستصبح علاقة باردة لا مودة فيها ولا رحمة، وإنما الشقاق وكثرة النفاق.

*****

2

ألّف العم (سالم) كتاب التعامل مع الجن، لقد كان وليا من أولياء الله الصالحين فيما مضى رحمه الله. وليس هناك نسخة من الكتاب إلا التي خطها بيمينه وهي في مكان آمن حتى لا تعبث بها أيدي العابثين، وهذه النسخة كانت تأتي صورتها في المنام لـ(رضوان) وهي التي كانت تقض مضجعه، وتنذره نذير سوء، لم يعرف السبب، فالكتاب حتى وإن كان يتحدث عن التعامل مع الجن فصاحبه ولي لله ولا يمكن أن يكون هناك ضرر من شخص ولي لله، لكن الذي لم يعرفه (رضوان) أن ابنه (حامد) سيتمكن من الوصول إلى هذا الكتاب وتطبيق ما فيه لكي يتعامل مع الجن وهو لم يتجاوز سن الغضاضة فعمره فقط ثلاث عشرة سنة، إنه كثيرا ما كان يسمع أباه يتحدث عن هذا الكتاب، لذلك ملك فؤاده الفضول، فبقي ينتظر الفرصة حتى يحصل عليه ويطبق ما فيه. وهذا ما حصل فقد وصل الكتاب إليه بعد أن حصل عليه أبوه (رضوان) بطريقة أو بأخرى. تعامل (رضوان) و (سليمان) مع ملوك الجان والعفاريت وجميع أصناف هذه المخلوقات النارية، كان الأمر في البداية مربكا لكن مع هذا الثنائي أصبح الأمر سهلا ميسورا، أصبحت الجن تخدمهما دون أن يقعا في شرك أو يتقربا بقرابين. إن كتاب (سالم) يعلم التعامل مع الجن بالحلال، ألم أخبركم سابقا أن مع كل عمل حرام هناك شبيها له حلال ـ الخمر حرام لكن العصير حلال.. الزنا حرام لكن الزواج حلال.. السرقة حرام لكن الكسب حلال... أرجو أن تصل الفكرة ـ فإن كان السحرة يستخدمون الجن في الشرور، فلا تنسوا أن النبي سليمان حكم الجن وهو نبي عليه السلام. المهم أصاب بيت (رضوان) و(خديجة) الوبال، فإبنهما الوحيد أصابته لوثة عقلية بعد أن بدأ يقرأ ويطبق بطريقة خاطئة وجاهلة ما في الكتاب، لأن الكتاب كما يحذر مؤلفه في المقدمة أنه إن

أسيء استعماله وكان في غير أهله سيؤدي إلى كوارث. ولذلك مرض (حامد) بالفصام وأصبح لا يستطيع أن يبقى هنيئا على أريكته لثوان، وفي الليل لا ينام بطبيعة الحال، أصبح تائها في المدينة يتنقل في الطرقات وهو يهذي بما لا يفهم من الأقوال، ربما ظن نفسه المهدي المنتظر أو ربما سيحرر فلسطين أو ربما سيحضّر جبريل، ربما جاءه أمل يحبه لنفسه وهو أن يركب على براق الأنبياء ويصعد إلى السماوات، كان يقوم بتصرفات إن دلت على شيء فإنما تدل على أن هذا الفتى يجب أن يعالج ويعتنى به، مرة ظن أن السبب في ما هو فيه هو (سفيان) فكان على وشك أن يضربه بحديدة على أم دماغه ليستريح منه، فما كان من الأهل إلا أن ذهبوا به إلى مصحة المرضى العقليين حتى يخف ما به وأصبح يتناول الدواء أملا في الشفاء، وكل ذلك بسبب كتاب عن الجن وضع في اليد الخطأ، لم يكن يعرف (رضوان) أن سبب ما حدث لابنه هو الكتاب لأنه يضعه في خزانة سرية محكمة الغلق لا يصل إليها ولا يعرف رمز دخولها إلا هو وصديقه (سليمان) لذلك بقي أسبوعا حائرا متحيرا، حتى برقت في ذهنه بارقة فعلم أن سبب كل هذا هو الكتاب ولذلك وجده مرة موضوعا على وجهه على غير العادة فسأل (سليمان) فأجابه بالنفي فعلم عند ذاك أن الكتاب وصل إلى ابنه (حامد) وسبب له كل هذه التشنجات. نفس الجيران الذين تحدثنا عنهم سابقا والذين كانوا يحسدون (رضوان) عندما حفظ القرآن صغيرا، وصلتهم أخبار ما حصل لابنه ففرحوا فرحا كبيرا حقدا وتشفيا، فهم لسنوات ينتظرون أي سقطة تحدث لعائلة السيد (رضوان) فلم يحدث أي شيء، فعندما حصل ما حصل بدأت الأهازيج تملأ الحي القديم والذي لا تزال تسكنه العائلة والوالدين، لذلك لما رأوا ما يقع من احتفالات التشفي ركِبهم الحزن والكرب العظيم.

*****

مرت الأيام والسنون شفي (حامد) وتوفي (رضوان) و(سليمان) وبقي الكتاب في الخزانة السرية لا يعرف مكانها ولا طرق فتحها إلا (حامد) وابن (سليمان) ليباركا المدينة كما فعل أبويهما. وهذه كانت القصة.[تمت]